

## المرأة الحمقاء



قالوا: العقل زينة .. أو طينة

العقل زينته بقدرته على المصاعب وتذليلها مهما كانت شدتها .. والعقل طينة بقدرته على جلب المزيد من المتاعب والمصاعب مهما كان المرء في غنى عنها.

والمرأة الحمقاء هي امرأة اكتمل نموها الجسدى بما احتوت عليه من صفات وملامح الأنوثة الناضجة .. ولكن ظل فكرها في حالة ضعف، ورؤيتها وبصيرتها في حالة عجز .. واتزانها في حالة قصور عن النمو والنضج، مما أوجد حالة من الاندفاع والتهور واضطراب الفكر والوجدان، وعدم القدرة على إصدار الأحكام وتوجيه السلوك الوجهة السليمة.

لذا جاءت وصية رسول الله ﷺ بالتحذير من هذا الصنف غير السوى، والمشوه نفسياً، والمضطرب وجدانياً، والأهوج فكرياً .. لأن نتائج الزواج بمثل تلك المرأة وخيمة العواقب .. سواء كان على الزوج نفسه أم على الأبناء أم على الأهل والأقارب والجيران.

فإن الحمقاء صحبتها بلاء وفي ولدها ضياع. وليس كل المؤمنين حكماً أسوياء في سلوكهم وتصرفاتهم .. وليس كل الكافرين حمقى في تعاملاتهم .. وقد قرر رسول الله ﷺ أن:

”خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا“<sup>(١)</sup>.

”فالناس معادن كعادن الذهب والفضة“ والنحاس فمن كان معدنه نفيساً في الجاهلية ظل معدنه نفيساً بعد الإسلام .. ومن كان معدنه رخيصاً في الجاهلية (أى عقله وفكره) ظل كذلك حتى بعد إسلامه.

<sup>(١)</sup> الإمام أحمد ٢/٤٨٥

وقد جعل الله - عز وجل - الناس مفاتيح، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر وبئس لعبد جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير.

الحمق سلوك باطنى لا دخل للمظهر فيه ولكن كم نرى من متحجبة جاهلة بأمر دينها ودنياها، لا ترعى حقا لزوج، ولا يسلم جيرانها من لسانها وسوء تصرفاتها.

فكم من زواج فاشل .. وبيوت قد خربت؟ .. وأطفال قد ضيعت؟ .. وأسر قد تهدمت؟ رغم أن الزوج والزوجة مسلمان!! كما يدل على ذلك مظهرهما الخارجى، ولكن عقلهما الداخلى، أو عقل أحدهما، لم يكن عقلا صالحا كريما فى تصوراته وأوامره وسلوكه .. فامتزجت تصرفاته واتصفت حركاته بخفة العقل وضعف الرؤية، وقصور البصيرة، وعدم تقدير المسؤولية، واضطراب فى الوجدان، وعدم قياس الأمور وفق معايير متزنة قوية يرتضيها الشرع الحنيف .. أى كان العقل أحمق فيما يصدر منه، وهيهات أن يأتى الحمق بخير!!

إن أهمية وجود العقل لدى الزوجة لهو أهم وأخطر من وجوده عند الزوج لدوام العشرة والحياة الزوجية. فكم من رجل أهوج طائش، وكم من رجل قاصر فى فكره مضطرب فى وجدانه، غدا رجلا كريما مسئولًا يعرف قيمة الحياة والوقت، وصار يحسن التصرف لأن وراءه زوجة عاقلة!! الزوجة العاقلة قادرة على أن تعدل وتنظم تصرفات زوجها وذلك بحسن تدبيرها .. والزوجة الحمقاء قادرة على أن تحيل حكمة الرجل وعقله إلى جنون!! الرجل قادر على أن يثير الزوابع فى البيت، ولكن المرأة وحدها هى القادرة على أن تسكن ثورة الزوج، وتهدئه، وأن تجعل نسيم الهدوء والألفة والراحة والاستقرار الأسرى يهب من جديد!! إن تأثير المرأة على الأبناء يفوق تأثير الآباء لكثرة ملازمة الأم لوليدها، ولشدة تعلق الصغار بأهمهم، وكلما حظى الأبناء بأمر عاقلة كانوا أبناء أسوياء عظماء يشار إليهم بالبنان فى أى موقع عمل، والفضل لا يعود إلى ملكاتهم الشخصية فحسب بل يعود فى المقام الأول لحسن رعاية وتوجيه أهمهم، حتى

ولو كان أبوهم غير سوى فى تصرفاته ، فهى قادرة على جعلهم يحترمونه كأب ، ويستهنون سلوكه كفرد ، وتقدر على إنقاذهم من براثن فسادهم .. ولكن قلما ينجح الآباء فى مثل هذا الموقف إن كانت الأم حمقاء أو هى نتاج مستنقع للفساد !!

قال رسول الله ﷺ : "الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة"<sup>(١)</sup>.

وقال : "ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خير له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرتة وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله" (رواه ابن ماجه).

المرأة الحمقاء هى امرأة إن أمرها زوجها خالفته ، وإن نظر إليها غمته ، بعبوس وجهها ، وسوء منظرها ، وعدم اهتمامها بإبراز جمالها له .. وإن أقسم عليها أحنثته ، أى جعلته يحنث فى يمينه فهى تقسم كما يقسم ، ولكن على أنها لن تفعل ما يريد وإن غاب عنها أخرجته (بما تفعله من تصرف طائش تجاه ماله أو نفسها أو بيتها).

ومن صفات المرأة الحمقاء أنها تنبهر بسهولة ما تراه عيناها .. وتحب وتكره وتقبل وترفض دون معرفة لأسباب القبول أو الرفض فهى هوائية التفكير .. تبتسم وتعبس فى وجه زوجها أو الجيران أو الضيوف دونما سبب ظاهر .. غير متزنة فى وجدانها تفرح وتبكي لأتفه الأسباب .. غير متسقة فى سلوكها .. قد تندفع إلى تصرف لا تحمد عقباه وفقا لانفعالها .. ليس لديها خبرة كافية عن الحياة وليس عندها منهج فكرى معين تلتزم به .. لا تعرف كيف تحتاط من الأعداء العلنيين ولا الأعداء الأخفياء .. شديدة التقبل للايحاء وتصديق ما يقال .. كثيرة الظنون .. تجلب المصائب والهموم .. من وافقها على هواها أحبته وصار صديقا لها .. ومن عارضها فى آرائها أبغضته وصار عدوا لها .. قد تحطم كل

(١) الكنز الثمين / ١٧٩٤

شئ يعوق رغباتها مهما عظم ثمنه وكبرت قيمته .. قد تقدم على هدم بيتها وتحطيم حياتها بطلبها الطلاق وإصرارها عليه، ولو كان لأوهى الأسباب وأضعف الحجج .. فإذا نفذ زوجها رغبتها .. صرخت وبكت وارتمت على الأرض وأصيبت بانهيار عصبي !!

الوشاية إليها تحقق الأهداف المرجوة منها، فإن قيل لها زوجك سيتزوج بامرأة أخيه المتوفى صدقت، وأقامت الدنيا ولم تقعدا حتى يقطع زوجها علاقته بأبناء أخيه الميت !!

سريرة التفكير والإدلاء بالآراء والمقترحات فى أعمال زوجها ومشاريعه، فإذا ما أخذ برأيها وسار خلف عقلها، أتت النتائج بعكس ما توقع لها، وغدت الأرباح خسائر .. لأنها لا تملك البصيرة، ولا تعرف الحكمة، ولم تتعود التفكير المستنير القائم على دراسة البواعث والأسباب، والنتائج المترتبة على الأفعال .. لأن كثرة التفكير تحدث لها صداعا بالرأس !!

هى فى بيتها كالربان الذى لا يعرف الملاحة ولا اتجاه الريح وسرعتها .. ولا كيف يقود دفة السفينة ولا كيف يتعامل مع الملاحين .. ولا كيف يجنب السفينة وركابها أخطار الارتطام بالصخور أو بالسفن التى تجاورها، فتسير فى مسارها الصحيح دون أخطاء.

هى مصدر للقلق والعناء فى البيت .. تصرخ كما يصرخ الأطفال لتسكتهم .. وتبكي إذا بكى الأطفال بعد أن تضربهم، وتضحك حين يضحكون، وكأنها طفلة أضيفت إلى الأطفال، فلا ينعم زوجها بنوم القيلولة والنوم فى المساء.

تشتري أحيانا مالا تحتاج إليه، وتستدين من أجل اقتنائه؛ لأن صاحبته قد أشارت عليها بذلك.

وصدق هذا الأب الحكيم الذى أوصى ولده أن يحذر نكاح المرأة الورهاء أى الحمقاء لأنها "ذات الدل فى غير موضعها (أى تدلل نفسها دون مراعاة للوقت

والعمى الماضغة لسانها .. الآخذة فى غير شأنها .. قد قنعت بحبه ورضيت بكسبه .. تأكل كالحمار الراجع .. وتنتشر الشمس ولم يسمع لها صوت .. ولم يكنس لها بيت .. طعامها بائت .. وإنؤها وضر وعجينها حامض .. وماؤها فاتر (غير مبرد) متاعها مزروع (لا ينقل ولا يحمل)، ماعونها ممنوع (لا تمد يد العون لغيرها)، خادمها مضروب (بغير سبب) وجارها محروب!!

إن العقل السليم يمكن تحسينه، والنشاط يمكن اكتسابه، والصحة يمكن تأمينها بالنسبة إلى الذين يرغبون فى الاهتمام بذلك .. أما العقل الأحمق فهو يرفض كل ذلك .. إن التصرفات الحمقاء ما هى إلا ثمرة انعدام الخبرة أو الاستخدام السيئ للخبرة .. لا فائدة من التحدث عن تغيير العقلية غير المسئولة، لأن صاحبها لن تصغى إلى كلمات الخبرة والحكمة، ولا شئ يمكن أن يقدم لامرئ ترك كل الفرص تمر به دون أن يفتنصها .. ولن تُصلح قراءة الكتب عقلا عاجزا عن التفكير المستنير .. ففى ذلك إهدار الوقت وضياع لقيمة النصائح ..

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾<sup>(١)</sup> ..

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد يقنع الزوج بزوجه الحمقاء ليس لأنها أرجح النساء عقلا، بل لأنها أقل من غيرها غباء أو سوءا فى التقدير والتصرف.

كم من أبناء حصدوا الندامة ولم يعرفوا طريق السلامة نتيجة سوء اختيار وإرشاد أمهاتهم !! كم من ابنة كانت ضحية تشجيع أحمق من أم غير عاقلة

<sup>(١)</sup> الإسراء / ٧٢

<sup>(٢)</sup> الحج / ٤٦

رحبت بزواج لا يملك من الرجولة إلا المظهر، ولا يعرف الحلال والحرام فيما يجلبه من أموال، كم من أم خدعتها مظاهر براقاة كاذبة خادعة استعملها ذئب من البشر، أحضر شبكة من الذهب غالية الثمن وهدية لأُم العروس، واستباح لنفسه دخول البيت والخروج منه فى أى وقت يشاء، وكان دائم الابتسامه، معسول الكلمات، ولم تمنع الأم فى أن ينفرد هذا الذئب بابتها خارج البيت وداخله.. بل شجعتها على ذلك لتأخذ المزيد والمزيد، ولم يكن هناك من حصاد إلا الخزى والدنس للعرض والشرف.. ولم يشاهدوا وجه العريس بعد ذلك!!

كم من زوج يتجرع المرارة والأسى حين أطاع نصيحة أمه الحمقاء، وتزوج بمن أشارت إليها وحفزته لنكاحها؛ لأن راتبها الشهرى كبير وستعاونه فى تجهيز الشقة ومصاعب الحياة وأصدرت حكمها بأنها صالحة وجميلة المظهر..

إن تداخل الأمور.. وإظلام الرؤى.. وتشعب الدروب.. وضعف البصيرة.. وغياب الوعى.. وعدم نضج الفكر.. والجهل بطبائع الناس وسلوكهم سيدفع دوما المرء إلى الصعود بفضل تلك النصائح الحمقاء ولكنه للأسف الشديد صعود إلى الهاوية!!